شعاع من نور الوحي

القرآن الكريم

كتاب هداية ورحمة

آية الله العظمى السيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي

دار السيدة رقية للقرآن الكريم

تأسست عام ١٤٢٧ هجرية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار السيدة رقية عليها السلام للقرآن الكريم

اسم الكتاب: ..... القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة

تأليف: ..... آية الله العظمى السيد عبدالكريم الموسوي الأردبيلي

الناشر: ..... مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام

اصدار: ..... دار السيدة رقية عليها السلام للقرآن الكريم

مطبعة: ..... ثامن الحجج عليه السلام

الطبعة الاولى: ..... ١٤٣٦هـ . ٢٠١٤م

الكمية: ٢٠٠٠

شابك: ٣-٢٤٩-٩٨٤-٩٦٤-٩٧٨

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم المقدسة

www.qazvini.org

Email: info@ruqayah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[6].

---

١. سورة النحل / ١٠٣.

٢. سورة مريم / ٩٧.

٣. سورة إبراهيم / ٤.

٤. سورة الحشر / ٧.

٥. سورة فصلت / ٣٠.

٦. سورة الرعد / ٢٨.

إنَّ القرآن الكريم من أعظم المنح الإلهيّة التي أرسلها ربُّ العباد لهداية الإنس والجنِّ بشكل عام، والإنسان منهما بشكل خاص.

ومع أنّ هذا الكتاب المقدّس إنّما أُنزل لبيان الأحكام الشرعيّة والمسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة و... لكن الهدف الأساس منه، والغاية القصوى له هو ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١].

وهل إنَّ هذه الهداية مختصّة بالمسلمين فحسب كما في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، أو أنّها تشمل غيرهم؟

الجواب: كلا، بل هي عامّة لهداية جميع الناس، وهذا ما يتجسّد بكلِّ وضوح في قوله سبحانه وتعالى حينما وصف هذا الكتاب: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[٣].

فمن خلال استخدام مفردة ﴿لِلنَّاسِ﴾ يتبين لنا أنَّ القرآن الكريم هو كتاب هداية لجميع البشر، وكلُّ واحد منهم بإمكانه أن يغرف من هذه العين الصافية والمعين الذي لا ينضب بحسب إناء وجوده وقدرته.

---

١. سورة إبراهيم / ١.

٢. سورة النحل / ١٠٢.

٣. سورة البقرة / ١٨٥.

عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرآنِ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ». فكما أنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام شفعاؤنا يوم القيامة، ومنار دروبنا في هذه الدنيا يخرجوننا من التيه والضلال، فكذلك القرآن الكريم؛ «فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ... مَن جعلَهُ أمامَه قادَهُ إلى الجنَّة، ومَن جعلَهُ خلفَهُ ساقَه إلى النّار»[1]، وهذا تجسيد لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾[2].

«وهو كتابٌ فيه تفصيلٌ، وبيانٌ وتحصيلٌ، وهو الفصلُ ليس بالهزلِ»

نعم إنّه الكتاب الإلهي الذي أخبر بدقائق الأحداث والأحكام وشرع في بيانها وتفصيلها؛ حيث تكفّل ببيان كلِّ شيء يحتاجه الإنسان عِبر سيره التكاملي ومسيرته في هذه الدنيا، قال تعالى﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

---

١. الجدير بالذكر أنَّ مفردة (أمامه) يمكن أنْ تُقرأ أيضاً (إمامه)، وكلاهما صحيحان، ولكن بما أنّها جاءت مع (ومَن جعله خلفَه) فالأولى أن تُقرأ (أمامه) التى هى فى قِبال الخلف.

٢. سورة الإسراء / ٨٢

٣. سورة النحل/٨٩

وهو الفاصل والمائز بين الحقّ والباطل، والفيصل الذي أُنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله ليأخذ بيد هذا الإنسان ويصل به إلى أعلى مراتب السمو والرفعة، بل إلى ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى﴾ من الرُّقي والكمال.

«له ظهرٌ وبطنٌ»، أي أنَّ ما نفهمه من معانٍ سامية أو تفسير للآيات فهو في الحقيقة ظاهر لها، وإنّما هناك معانٍ أُخرى تكمن في الباطن، وهو التأويل الذي لا يعرفه إلاّ الله والراسخون في العلم؛ قال تعالى:﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1] «فظاهرُهُ حكمٌ وباطنُهُ علمٌ».

«له نجومٌ، وعلى نجومِه نجومٌ»، فكما أنَّ نجوم السماء تشعّ في السُّرى نوراً وتألقاً؛ ليهتدي بها السائرون والضالون عن الطريق، وينجو بها الإنسان من ظلمات البرِّ والبحر المهولة والمخوفة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2]، فكذلك القرآن الكريم له نجوم يهتدي بها البشر من ظُلمة الزيغ والجهالة، وحيرة التيه والضلالة.

يقول العلامة المجلسي قدس سره في شرح هذه الفقرة من الحديث: «لعل المراد له نجوم أي آيات تدل على أحكام الله تهتدى بها وفيه آيات تدل

---

١. سورة آل عمران/٧.

٢. سورة الأنعام / ٩٧.

على هذه الآيات وتوضحها أو المراد بالنجوم الثالث السنة فإن السنة توضح القرآن أو الأئمة عليهم السلام العالمون بالقرآن أو المعجزات فإنها تدل على حقيقة الآيات لمن عرف الصفة أي الصفات التي توجب المغفرة من القرآن أو صفة التعرف والاستنباط»[١]

خصائص القرآن الكريم

للقرآن الكريم خمسَ عشرةَ خصلةً فريدة يمتاز بها عن سائر الكتب والمؤلَّفات، وهذا لا يعني انحصاره فقط في هذه الخصال التي سنشير إليها، بل قد تكون هناك خصال وسمات أضعاف ما سنذكره ونبيّنه، ولكن ما خطر على بالنا سنعرضه على القارئ الكريم بإيجاز يتناسب مع هذا البحث المقتضب:

١. العذوبة والحداثة

إنَّ القرآن الكريم كتاب عتيد قد دُوّن وأُنزل قبل أكثر من ١٤٠٠ عام، لكنّ عذوبته ونقاوته وطراوته ما زالت على حالتها الأُولى إذا لم تكن

---

١. مرآة العقول ١٢ / ٤٧٩.

تعدّتها وتجاوزتها، بل نحن لا نعلم كتاباً مرَّ عليه أكثر من ثلاثين أو أربعين عاماً وبقي محافظاً على طراوته وحداثته، وقد شهد بهذه الصفة فصحاء وبلغاء العرب في عصر النبي صلى الله عليه وآله، حيث قال الوليد بن مغيرة لما مر وسمع النبي صلى الله عليه وآله يتلوا سورة حم السجدة: «فأتى قومه وقال: قد سمعت من محمد صلى الله عليه وآله آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى، فقال قريش: صبأ الوليد، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال: تزعمون أن محمدا صلى الله عليه وآله مجنون فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه؟ ففرحوا به وتفرقوا مستعجبين منه»[١].

لقد كانت التوراة والإنجيل من الكتب السماويّة القديمة التي نزلت قبل القرآن بمئات السنين، لكنها لم تكن مورد عناية واهتمامٍ كالقرآن الكريم؛

---

١. بحار الأنوار، ج٩، ص١٦٨.

لأنَّ اليهود والمسيح أنفسَهم لا يعتبرونهما كتابَين لهداية أفكارهم وآرائهم، أو أُنموذجاً حيّاً يتواكب مع برامجهم العلمية والعمليّة.

أمّا المسلمون فإنّهم يجدون القرآن الكريم حاضراً معهم في جميع مجالات حياتهم اليوميّة، يستلهمون منه فنونَهم وتجاربَهم وإبداعاتِهم، ويتبركون به في أفراحهم وأحزانهم، وأعراسهم ووفياتهم، ويتفاءلون به عند السفر وطلب الحاجة، والبيع والشراء، ويختارون أسماءَ أبنائهم وأطفالهم من خلال التمعّن به والتدبّر فيه؛ لأنّهم لا يعرفون كتاباً له هذه المِيزة والخصوصيّة كالقرآن الكريم.

إذاً لكلِّ كتاب ـ سوى القرآن الكريم ـ فترة زمنيّة ينتهي أمده وأثره بانتهائها؛ لأنَّ «الأُمور مرهونة بأوقاتها» كما يُقال. وهذا الأمر غيرُ مختصٍّ بما يُكتب ويُدوّن فحسب، بل نجده حتّى على مستوى الأناشيد والأشعار، فمثلاً: إنَّ القصائد والأشعار الحماسيّة في أوائل انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة كان لها أثر واضح في حينها، لكنها في الوقت الحاضر قد فقدت ذلك الأثر والعطاء، وكذا الحال في بعض القصائد والأناشيد الدينيّة التي كان لها أثر ما في حقبة زمنيّة معيّنة فقدته بعد تلك الفترة من الزمن.

يُذكر أنَّ الشيخ محمد علي الباب كان له كتاب يسمى «البيان»، وقد بحثت كثيراً عن النسخة العربية لهذا الكتاب فلم أجدها، وحينما كنتُ أسأل أيَّ

بهائي أجده عن هذه النسخة كان يقول لي: إنّها غير موجودة. فقلت في نفسي: لم يمر على موت الشيخ محمد علي الباب سوى ٢٠٠ ـ ٣٠٠ عام، فلماذا أصبح كتابه نادراً هكذا؟! ثمَّ سمعت بعد فترة منهم أنّه حتّى لو وجد الكتاب فإنّه لا يكون حجّةً في هذا اليوم؛ لأنّه غير مختوم بالختم المخصوص.

وبعد فترة عثرت على نسخة واحدة من هذا الكتاب، وهي الآن موجودة في مكتبة جامعة الشيخ المفيد قدس سره، ولكنّها غير مختومة بالختم المخصوص، شأنُها شأنُ الكتب الدينيّة الأُخرى الخالية من تواقيع أصحابها وأختامهم.

والجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم لم يكن مهجوراً أو في منأى عن المسلمين على طول التاريخ الإسلامي؛ حيث لم نسمع ولم نقرأ أنَّ هؤلاء المسلمين في فترة ما، كأن تكون ٥٠ أو ١٠٠ عام، قد طرحوا فيها القرآن جانباً واعتزلوه، أو وضعوه في متاحفهم ومكتباتهم الأثريّة ولم يرجعوا إليه، بل إنّنا نجدهم يتعاهدون حفظه ويتداولونه، ويلتزمون بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وإذا ما جهلوا منه شيئاً كانوا يسألون عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، أو الأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده، أو يسألون بعض الصحابة

والتابعين ممّن له باعٌ في معرفته وتفسيره، ومن ثَمَّ يعملون به ويصحّحون أفكارهم ورؤاهم على ذلك.

٢. تعدد التفاسير والمفسّرين

إنَّ الميزة الثانية في القرآن الكريم هي أنَّه منذ الأيام الأُولى لنزوله شُرع في تفسيره وبيانه، حيث كان المسلمون يسألون النبيَّ صلى الله عليه وآله، أو الإمام عليّاً عليه السلام، أو ابن عباس، أو أحد الصحابة أو التابعين من بعدهم عن معنى الآيات ومضامينها، وهؤلاء كانوا يفسّرون لهم ما أُشكل عليهم.

وقد حفظ البعض هذه الأسئلة والأجوبة كروايات ونقلوها للناس جيلاً بعد جيل، فأصبحت فيما بعد تفاسيراً روائيّة مأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. ومن ذلك الحين دُوّنت عدّة تفاسير تتناسب وتلك الفترة، لذلك نرى أنَّ هناك حيويّةً وطراوةً وحداثةً بقيت ملازمة لهذا الكتاب ومستمرة معه إلى يومنا الحاضر، وستبقى هكذا معه إلى نهاية هذا العالَم.

والجدير بالذكر أنّ هذه التفاسير لم تكن بالية أو مكررة، ولم تكن يوماً يعتمد فيها التفسير اللاحق على السابق إلاّ في مجالات قليلة جداً تقتضيها ظروف هذا الفنِّ، بل لكلِّ تفسير منها إبداعٌ مختصٌّ به، الأمر الذي دفع الكثير من العلماء والمفكّرين والمفسرين في زماننا هذا إلى التأليف والكتابة

في علوم القرآن الكريم وتفسيره، وهذه الكتابة تتناسب والمواضيع الجديدة التي تظهر بين الفَيْنة والأُخرى لهذا الكتاب المقدّس.

وعليه يمكن لنا القول: إنَّه لا يوجد في هذا العالم كتابٌ ديني أو غير ديني له شروح وتفاسير بهذه الكثرة كالقرآن الكريم، بل حتّى التوراة والإنجيل مع أنّهما أقدم بكثير من القرآن لكن لا يوجد لهما تفاسير وشروح كما هو موجود للقرآن الكريم.

أنا بالذات سألت بعض علماء اليهود والنصارى عن تفاسير وشروح لكتبهم وأسفارهم، وهل إنَّهم يهتمون بذلك أو لا؟ فقالوا لي: لا أبداً.

إنّ العلماء والمفكّرين المسلمين سواء كانوا من الشيعة أم السُّنة، وعلى مرِّ العصور، قد كتبوا الكثير من التفاسير المختلفة لكتاب الله العزيز، وكلٌّ بحسب طريقته وأُسلوبه وتخصّصه.

مثلاً: من مدرسة أهل البيت عليهم السلام ألّف الشيخ الطوسي قدس سره المعروف بسعة علمه ومعارفه، وغزارة إنتاجه وتراثه، موسوعتَه التفسيريّة المعروفة بـ «التبيان»؛ بحيث نُقل عن الشيخ البروجردي قدس سره قوله: إنَّ الشيخ الطوسي رحمه الله إذا قسّمنا سنين عمره العلميّة على نتاجه العلمي فسوف يتّضح لنا بإنّه رحمه الله قد خصّص لكلِّ مسألة علميّة خمس دقائق فقط.

وكذلك الشيخ الطبرسي صاحب «مجمع البيان» و«جوامع الجامع»، والعلاّمة السيد الطباطبائي صاحب «تفسير الميزان»، وغيرهم الكثير من المتأخرين والمعاصرين.

أمّا علماء مدرسة الصحابة فقد ألّفوا أيضاً في هذا المجال الكثير من الموسوعات، وإذا كان لديهم علماء كبار ومؤلّفون فإنَّ أفضل أعمالهم العلميّة هي تفاسيرهم.

طبعاً ليس علماؤهم الحوزويّون فقط هم الذين كتبوا في علم التفسير، بل يوجد منهم علماء متخصّصون في علوم الفيزياء والكيمياء والعلوم الحديثة قد كتبوا في تفسير القرآن الكريم كما هو الحال عند الشيخ الطنطاوي صاحب تفسير «الجواهر».

٣. الاسلوب الرائع

من القضايا البديهيّة والمُسلَّم فيها أنّ أُسلوب كتابة القرآن أُسلوب نادر وفريد، بل لم يكتب أحد من قبلُ مثله ولن يستطيع أن يكتب مثله في المستقبل. وكما هو معروف أنَّ الكتب والمؤلّفات تتأثر عادة بأُسلوب تلك الفترة الزمنيّة الخاصة بها.

مثلاً: إذا أخذنا الكتب التي أُلّفت في فترة الدولة القاجاريّة فإنّنا نجد لها نمطاً خاصّاً يختلف تماماً عن النمط الذي أُلّفت فيه الكتب في فترة

الدولة الصفويّة. وهذا الأمر ينجرّ أيضاً على الكتب الفقهيّة المؤلّفة في عهدين مختلفين كما هو الحال في كتابَي «المبسوط» و «الخلاف» للشيخ الطوسي قدس سره؛ فإنّهما قد كتبا بأُسلوب خاص وطريقة معيّنة، وأمّا الكتب الفقهيّة المعاصرة فلها أُسلوب آخر يختلف عنهما اختلافاً شاسعاً إن لم يكن مبايناً.

إذاً كلُّ مؤلِف يسعى جاهداً ليكتب على غرار الفترة الزمنيّة التي يعيشها ويحياها، ويراعي الطريقة والنمط والأُسلوب الخاص بتلك الفترة.

أتذكر عندما حصلت على كتاب «نقطة الكاف» للميرزا جاني الكاشاني رأيت مقدمة الكتاب التي كتبها (إدوارد براون)، فقد كتبها بالنمط الخاص بفترة الدولة القاجاريّة، والتي يقول في مقدمتها: «الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسّلام على جميع الأنبياء والمرسلين. أمّا بعد، كذا وكذا...».

إنَّ هذه الطريقة كانت تُراعى في تلك الفترة، لذلك نرى (إدوارد براون) حينما كتب المقدمة كتبها على غرار تلك الحقبة الزمنيّة المعيّنة.

أمّا القرآن الكريم، فمع أنّه كتاب ديني ودستور للحياة، وقد كانت هناك كتب دينيّة أُخرى نزلت قبله كالتوراة والإنجيل، إلاّ أنّه لم يدوّن على غرار تلك الكتب، بل إنَّ أُسلوبه رائع ومنقطع النظير؛ فلا يوجد فيه مقطع

أو قسم أو باب، وليس فيه الفصل الأول والثاني والثالث، وإنّما قُسّم على السورة والآية. طبعاً كانوا في الماضي لا يكتبون حتّى السورة والآية؛ لأنّهم كانوا يعتقدون بكتابة ما أُوحي لرسول الله ﷺ وحسب.

وكيف كان فمن حيث عرض المطالب والموضوعات فإنّ للقرآن الكريم أُسلوباً رائعاً وطريقة فريدة، ومن حيث طرح المسائل فإنّ مسائله كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها في موضوع خاص؛ ففيه من العلوم والأفكار ما لا تُعدّ وتحصى لكنّه ليس كتاباً فلسفيّاً، فيه الكثير من المسائل الأخلاقيّة لكنّه ليس كتاباً أخلاقيّاً، فيه المواعظ والنصائح لكنّه ليس كالكتب الوعظيّة، فيه القصص والحكايات لكنّه ليس كالكتب القصصيّة، فيه أحداث التاريخ وأخباره لكنّه ليس كالكتب التاريخيّة، فيه أحكام وقوانين متعددة لكنّه ليس كتاباً فقهيّاً ولا كتابَ محاماة، فيه أدعية الأنبياء عليهم السلام وعامّة الناس لكنّه ليس كتاب دعاء، فيه الكثير من المطالب العلميّة والاجتماعيّة لكنّه ليس كتاباً علميّاً.

ولم يتوقف القرآن الكريم عند هذا الحدِّ، بل نجده قد اتّسم بسمات أُخرى لم نجدها في سائر الكتب السماويّة، فقد حُكي عن لسان الكثير من الخلق؛ كالملائكة والشياطين، الجنِّ والإنس، الكافر والمؤمن، الأشجار والنباتات، الليل والنّهار، الجنّة والنار، الحيوانات والسحاب،